

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إمام الصالحين والمصلحين، وعلى آله وصحبه الطيبين، أما بعد:

فما عساي أحرّر من الكلام وما بالي أقترر للأفهام وقد اختلطت الحقيقة بالأوهام، بعدما كنت متوقفاً بين الطرفين، متأملاً في منهج القومين، وقد كنت غير مستوعبٍ للمصيبة والقارعة العجيبة، التي أملت بالبلاد، وجنت على الصلحاء من العباد، وطار شرارها فأحرقت اليباس والحياد، إلا أنّ الوجد كان يخرم قلبي، وقد أوهن الحزن عقله، من دعاة كنا نحسبهم الأكابر فلزمناهم، وسامتنا منابرهم، وحملنا محابرهم في كل مجلس ومزدهم، أجللناهم في صدورنا حينما جفاهم الناس وآويناهم إلى قلوبنا لما طردهم الناس، وظننّا أنّهم كانوا لنا مُعلّمين الخير، فتعلّقت قلوبنا بعلمهم لا بأشخاصهم، وتفتّنت ألسنتنا بذكر خصالهم ومآثرهم، والحال أنّنا قد خُدعنا بمنهج العُجب والغرور.

والعُجب فاحذره إنّ العُجب مُجترّف أعمالَ صاحبه في سِيله العِرم

وأوتينا على حين غرة من سوء طويّة الكذب والزور، زور القول والفعل الذي لا يرضاه ربنا ولا العباد، لأنّه منقصة لا مفخرة، يهوي بها صاحبها وتنزل به في مدارك الدّل وغياهب النّدم، كما قيل:

لا تشهَدَنَّ بزورٍ تلكَ منقَصَةٌ	تهوي بها في مَهاوي الدّل والنّدم
يُجفَاكَ حتّى أعزُّ النَّاسِ مَنْزِلَةٌ	يلتفُّ حَوْلَكَ وسواسٌ فلا تنم
حتّى صَمِيرُكَ يَأبَى أنْ تُنازِلَهُ	يحتاجُ سُخْطًا على فِعْلِ لَكَ ارْتِسَم
قَوْمٌ مَسِيرُكَ واسِلُكَ نَهَجَ مَنْ صَدَقُوا	بُشْرَى لِمَرْءٍ على الأخلاقِ يَسْتَقِم
إنَّ الحِياةَ نعيمٌ ما استَقَمَّتْ لها	مَنْ يَنبغي الفضلَ عَفو الله يَغْتَنِم

ما كنت أظنّ يوماً أنّنا سنشهد هذه الفتنة، التي كانت محنةً يتعذّب فيها الصّادق، ويندى ويتخبّط فيها المحقّق، ويتصبّب للحقّ عرقه.

وما كنت إخال أن من الأكابر تأتي الصّدمة، وقد اتّهمت في عقلي الأصاغر والأغرار وتأولت لهم في سائر الأخبار، واعتذرت لهم بآلاف الأعذار، عسى ولعلّ ورُبّما...

ولكن هيهات من الصّدمة والأثّات، فلم يَأْبهوا بصراخ التّاصح الأمين، ولم يقيموا وزناً لجهد الصّالح بل قابلوه بأنواع الكمين، وما ذاك إلّا من حسد شنيع وحقد دفين.

تالله إنّها لصدمة ما بعدها من صدمة من قوم لم ينظروا بنظرة المال، ولم يحقّقوا المناط في واقعة العين في الحال، جنوا على أمر الدّعوة الرّبانية في بلادنا الجزائر، وغيرها من البلدان من الجيران والخلان، وأتوا بأمرٍ جَلَلٍ أصاب خنجره ظهر السّلفية بعد ترئّص الدّوائر والبهتان.

فقالوا إسقاط وإقصاء، وتمييع وتشنيع، وإضلالٌ وتبديع، وكلّ هذا كان بلا دليلٍ ولا تأصيلٍ فضلاً عن التّفريع.

إنّ المتّمين في هذه الفتنة ليعلم علم اليقين الذي لا شكّ فيه ولا مريّة، أنّه أمرٌ دُبّر لبيلٍ بهيمٍ وحيكٍ بنهار ظليمٍ، وأنّ ثمت أيادي خفيّةٍ ولربّما تنظيمات سرّيّة جرّاء خلفيّات سابقة مطويّة وربّما حركة حزبيّة بحلّةٍ جديدة تخفى علينا جميعاً، ودعوة إلى تحطيم جوهر الدّعوة وتفريق المسلمين.

إنّ الكذب وحطوط النّفس، والعُجب والغرور، وحُبّ التّزعم والظُّهور، ترك البعض يعتقد أنّ الدّعوة هالكة بعدهم، منقطعة بسكوته وصممه، آيلةٌ إلى الزّوال، ذاهبةٌ نحو الإضمحلال،

ولا يقبل الكلام في شخصه الكريم، وما علم أنّ هذه الاعتبارات الشّخصيّة لا وزن لها في ميزان الجرح والتعديل، وليست أسباباً للقدح والتنكيل.

أقول لمن هذه حاله: هل تدعو لشخصك أم تدعو إلى ربّ العالمين ؟؟؟

أُتَقَدِّسُ نفسك إلى هذا الحدّ، أم أنّك لا ترى غيرك إلّا بعين الاحتقار والتّهجين ؟؟؟

وربّ الكعبة ما هذا بدين أمر به ربّ العالمين، ولا بمنهج سار عليه الأنبياء والمرسلون.

أحسنا الظنّ بالريحانة وأحببناه، واعتبرناه الوالد، وإذا أطلق لفظ الشّيخ فهمت الأذهان أنّ العزو إنما كان إليه، فخال القوم أنّنا عبدناه، وإلّاها قد اتّخذناه، وحاشانا وحاشاه، فما هو إلا داعية إلى الله تعالى وهكذا من قبل هذه الفتنة عرفناه.

وخرّنا الرّكب عند الأزهر سنين، ولم نذكره إلّا بالجميل، وجعلنا من لا يثني عليه على غير المنهج والسبيل، لما بدا لنا من الجلوس والتصدّر، وما نسمعه منه من الردود على أهل البدع والتقهقر، مع ذلك كنا نرى معشر الطلاب أموراً كُتِّبَ نكرها فيه، من زهو النفس والعجرفة، وعدم التّواضع للطلّاب، فظننّا أنّها هيبة فاحترمناه من أجلها، ولكنّها خيبة وليست بهيبة.

وآخر من مدينة الجسور ظننّاها جسراً نعبرُ عليه إلى الجنان وقنطرةً نجورُها نحو التّأصيل وما تفرّع من الأمور الحسان، وإذ هو جسرٌ هوى منه بنفسه إلى التّفريق، والسّعي بالنّيمة والتّخذيل بعبارات التّشدّق والتّثنيق.

تسمع عنهم كلام العوام والسّاقط في الطريق، من سبّ وطعن في أعراض الرّجال، فاتّهموا المؤدّب بالعاشق المجنون، وأنه صاحب الأخدان والمجون، وعابوا على آخر حسداً من عند أنفسهم لما آتاه الله من حسن السّمت والدّلّ، فيصلّهم ويقطعونّه، فكأنّه كان يسفّههم الملّ.

وسبّوا آخر بعرجته التي طاف بها البلاد وقالوا أكّالٌ بالدّعوة، وهو والله قد أكلته الدّعوة فأفنته، وهو له قدم السّبق فيها، وجهوده الجبّارة تشهد عليه، وهو الذي لم تشبع عين أمّه

من رؤيته البهية وطلعته الزكية، وقد بكى لما آل إليه الأمر، فقالوا يتباكى واتهموه بالتفاق والتغريب، وهذه النماذج غيَض من فيضِ والله المستعان.

إلى أين أتم ذاهبون!؟؟.

يا قوم ألا تخافون يومًا تشخص فيه الأبصار!!؟.

أم أنكم أمِنتم مكر الله، وغرّم حلم الله وكرمه، فتجرّأتم على أوليائه!!؟.

خفتم من الاجتماع بهم والجلوس معهم بعد دعوتكم إلى الجلوس لأنه لا دليل لكم على إدانتهم غير العجب والغرور الذي في النفوس، وقد أفهمتمونا بنُكولكم تورّعًا مزعومًا وتهرّبًا كان معلوماً.

تقولون حديث غلمان ...

فقلنا: أي نعم، فلما تحدث الفطاحلة، قلت: مسح بلغة الأعاجم، فصرتم تلعبون بدينكم كالصبيان.

والأزهر انبرى بالطعن والتعيب، وقد كان في الأمس القريب، يتزلف عند الزبيح ويقول شيخنا ووالدنا، وقد زادنا ذكره إياه حُبًا وتعلُّقًا، أمّا الآن فقد عامل أباه بالعقوق، عندما خالف الزبيح هواه وصدع بالحق فخر عرش كذبه، وظنّ أنّ الزبيح سيُداهنه أو يتكلّم بما يرضيه ويسخط ربّ العالمين.

وأما الرّيحانة الذي انتظرنا منه ألا يكون طرفًا في النزاع، ويكون همزة وصل للألفة والاجتماع، كان يقرّر كذب القوم وتعيبهم في أول الأمر حتى أقبلت علينا تلك الفاجعة، بخيلها ورجلها فتفطّرت منها القلوب، وتصدّعت بها الأسماع من هول قرع الفاجعة، وإذ به بلغة العوام جاء بالطّوام، في حين أنّا كنّا ننظر منه البيان الشّافي والبرهان الدّامغ الكافي على إدانة المشايخ، حصر لنا الدعوة في شخصه، وأقبل باللّوم على السائل وكأنّه كان يتصدّق عليه بالجواب، فكأنّ عليه غشاوة أصبحت مرآة لا يرى وينعكس فيها إلا وجهه.

أيهذا أمرتم أم أنكم لطريق آخر قد رسمتم؟؟؟

وأما الجسر فيكاد قلبه يتصدّع من غيرته المذمومة على الرّجل الرّضا، فأقبل بخيله ورجله يصارع بلا سلاح فكان هو المصروع، فناطح بِجَلْحَتِهِ ونازع فكان أبعد منزوع.

فالله المستعان فيكم، فرّقتم الأب عن أبيه، والأخ عن أخيه، والزّوج عن ذويه، حينما قال الناس أتم جمعتمونا، فتحملوا أوزاركم وأوزار غيركم، ممّن لا يكاد يُسلّم على نفسه من نكارة الأمر ووحشة الباطل، وقد طُلّقت الزّوجات واستُحلت الأعراض فكنتم جسراً إليها، وما هذا إلّا أنّهن خالفن هواكم، فلم يُطعن في غير المعروف، فالله الله فيما جنيتم على دعوة بذلت فيها الأنفس والأنفاس.

وأتم أيّها الأغمار من الأتباع وفتيل الفتنة الذين لم يخافوا في الصّالحين إلّا ولا ذمّة، هل حسبتم أنّكم تنصرون الرّيحانة بوقوفكم معه على الباطل، كلّا والله.

لو كان الأمر بالمحبّة والعاطفة لما سبقتونا إلى مشايخكم الثلاثة، وكنا نجلس عندهم وقد عرفنا الحريصين والمهملين فلا حاجة أن توهمونا بالمحبّة الباطلة، واعلموا هداكم الله تعالى أنّ ممّا تقتضيه المحبّة الشرعيّة لأخيك المسلم أن تنصحو له، وتبيّنوا خطأه، وإلّا كنتم ممّن يزيد عليه، وقد كانت المرأة الصّاحبة قديما تمسك الباب على أيّها المحدث ألا يخرج للتحديث لاختلاطه، فما بال الرّجال اليوم لا يفعلون فعل النساء هذا، أصعب عليهم، أم كانوا ينتظرون بشغف هذه الفتنة فويحكم والله.

هذا والله أسأل لي ولكم الهداية وإني آمل أن ترجعوا عن هذه الغواية وتتبوا إلى ربّكم واعلموا أنّ توبتكم لا تزيدكم إلّا رفعة عند الله، وفي أعين إخوانكم، ولا يغرّكم أتباعكم الهالكين، وسوء بطانتكم المارقين.

وخاصة أتم أيّها الرّيحانة، يا فارس المعقول والمنقول، فطالما كنت كبيرا وعرفناك كبيرا فاعلم أنّك ستكبر أكثر في أعيننا، وتجلّ أقوى في صدورنا، وسنفرح بتوبتك ورجوعك إلى الحقّ، وتأصيلاتك التي في كتبك كانت لتغني عنك، لو طبقتها في هذه الفتنة لقطعت

نصيحة الولد البار لمن كان يُعَدُّ من الكبار

أوصالها عن بكرة أبيها، واعلم أنّ غيرك تابعٌ لك، فإن رجعت رجُوعاً، وإن لم يرجعوا
برجوعك فنحن معك ولك ناصرون، ولا تغرّنك كثرة الهالكين، ولا تنمّقات الممتّقين، ولا
تستوحشّن بعد رجوعك من قلة السالّكين والمرافقين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين
وسلم تسليماً كثيراً.

وكتب أبو عبد الإله فارس البجائي
غفر الله له ولوالديه ومشايخه